

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلَحْسَنِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَنَهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

أجمع آية

(039) سورة الزمر

محاضرة في الأردن - عمان

2022-02-21

الأردن

عمان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين وعلى آل الله وأصحابه أجمعين.

قصة عمر بن الخطاب مع عبد الله بن مسعود:



آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله

أحبابنا الكرام، في اللقاء الماسي ذكرنا في بداية قصة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، سيدنا عمر يسير ليلاً، ومن بعد هناك قوم يمرون في الصحراء، فنادهم سيدنا عمر، نادي المنادي، قال: من أين القوم؟ قالوا: من الفج العميق، قال: أين تربدون؟ قالوا: البيت العتيق، فقال عمر رضي الله عنه: إن فيهم عالماً، الأجرية توحى بوجود شخص عالم، قال: فناداهم: أي القرآن أعظم؟ فجاءه الجواب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْخَيْرُ الْقَيْمُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا تُؤْمِنُ> لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَلَا يَنْعُوذُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)

[سورة البقرة]

آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله، فنادهم أي القرآن أحكم؟ أحكم آية، فجاءه الجواب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ دَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ دَرَّةً شَرًّا يَرَهُ (8)

[سورة الرزلة]

قال: فنادهم: أي القرآن أجمع؟ أي أجمع للمعنى، فجاء الجواب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفُحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)

[سورة النحل]

قال: فنادهم: أي القرآن أخوف؟ فجاء الجواب قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<لَيْسَ يَأْمَنُكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُعْذَرْ بِهِ> وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123)

[سورة النساء]

قال: ناداهم: أي القرآن أرجى آية في كتاب الله، فجاء الجواب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<فُلُونِيَ عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَعْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الدُّنْوَبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ> (53)

[سورة الزمر]

قال: أفيكم عبد الله بن مسعود؟ قالوا: اللهم نعم، لأن سيدنا عمر بن الخطاب علم أن هذه الأجوية هي من الرجل الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{ من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد }

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده وابن خزيمة]

و هو عبد الله بن مسعود.

اجماع آية في القرآن الكريم:

في اللقاء الماضي تحدثنا عن أعظم آية، وهي آية إلكرسي، واليوم عن أجمع آية وهي قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** هذه آية أجمع آية كما قال ابن مسعود رضي الله عنه لأنها جمعت ما ينبغي امتثاله في الخبر، وما ينبغي احتاته بالشر. في القرآن كثير من المأمورات، وكثير من المنهيات، لكن هذه الآية تحديداً جمعت أشياء مهمة ينبغي الامتثال لها، وجمع تحتها ألف البند، أي كلمة العدل وحدها تشمل آلاف المعاملات، وكلمة الإحسان تشمل آلاف الأنواع **(وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ)** تشمل كذلك، والنهي كذلك **(الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ)** فجمع تحتها كل البند التي ينبغي أن يأمر بها الإنسان، و كل البند التي ينبغي أن ينتهي عنها الإنسان، فما من شيء يأمر به الإنسان إلا يكون ضمن **(بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ)** وما من شيء ينتهي عنه إلا أن يكون ضمن **(الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ)** فلذلك سماها ابن مسعود أجمع آية بهذا المعنى.

معرفة الامر قبل الأمر:



انظروا إلى الأمر قبل أن تسمعوا للأمر
أولاً: الله تعالى عندما قال: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ)** أنت اليوم أخي الحبيب، إذا كان لك صديق، وتريد أن تعطيه، فوعطته بشيء، أو لنقل: لك طلب عنده، تزيد أن يؤديه، فإذا قلت له: أريد هذا الطلب، قد يؤديه لك، وقد يعتذر، لكن لو أنك مثلاً كلامت والده فقال لك: كلام ابني فلاناً، فعندما تأتي إليه لا تقول له: أنا أريد، تقول له: إن أبيك يريد منك أن تخدمني هذه الخدمة، فعندما يسمع إن أبيك، وأبويه له مكانة كبيرة وعظيمة في قلبه، وله مكانة كبيرة وعظيمة في داخله، فإنه ينادي إلى أداء الخدمة لك، لأن الأمر هو والده، وقد تقول له: إن الملك يطلب منك، أرسلني إليك، الله أكبر! ينهض من فوره ليلبي نداء الملك لا نداءك.
فلما يقول تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ)** فكانه يقول لنا: انظروا إلى الأمر قبل أن تسمعوا للأمر، فليس الأمر هنا أبداً، ولا ابناً، ولا زوجاً، ولا رفيقاً، ولا صاحب منصب، ولا صاحب مال، وإنما هنا هو الله الخالق **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ)** لذلك قالوا: لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت، فعندما يعصي الإنسان أمراً لا ينظر أن الأمر بسيط فيقول: مادا فعلنا؟ كل الناس تأخذ المبالغ، والرشاوي، والأمور تمشي هكذا، ليس الأمر ماداً فعلنا مهما يكن الذنب بسيطاً، لكن المشكلة أنك خالفت أمر الله، الذي خلقك، ورزقك، وأعطاك، ومنحك نعمة الإيجاد، ونعمه الإيماد، ونعمه الهدى والرشاد، فالمخالفة ليست على قدر ما خالفت، وإنما على قدر من خالفت، لذلك المؤمن يعظم الله في قلبه، فيخاف منه فلا ينتهي حرمانه، بينما الشارد عن الله تعالى لا يعطيه الله عنده، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13)

[سورة نوح]

أي هيبة وعظمة؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْصَنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ>
بِمَمْنَهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)



الأمر معظم المسلمين يعلمونه اليوم

إذاً المعول عليه أن تعرف من الذي يأمر، الأمر معظم المسلمين يعلمونه اليوم، أي لو سألت مثلاً مليار مسلم: الكذب ما حكمه في الإسلام؟ جميعهم يقولون لك: الكذب حرام، معظم المنهيات في الإسلام معروفة عند معظم المسلمين، لكن لو نظرت في واقع المسلمين تجد أنه عندما يأتي البيع والشراء والمال يكذب من أجل أن يبيع، لا يعرف أن الكذب حرام؟ بل، يعرف كعمرفتك بذلك، لكن الأمر ليس عظيماً عنده كما ينبغي حتى يخاف منه، ما تعرف إلى الله حقاً، فمشكلة المسلمين اليوم ليست نقصاً في معرفة الأمر ولكنها نقص في معرفة الأمر، لذلك قالوا: معرفة الأمر قبل الأمر.

كيف نعرف الأمر حتى إذا سمعنا (إِنَّ اللَّهَ تَأْمُرُ)؟ الأمر غاب عن أبصارنا لكنه لم يغب عن قلوبنا، فكل شيء في الكون يدل عليه، فإذا نظرت في ملكوت السماوات والأرض، كل شيء يدرك على الإله العظيم، هذه المجرات التي تبعد عنا ملايين السنوات الضوئية، الطيور التي في السماء، الشجرة التي بجوار بيتك، ابنك الذي بين يديك، ربيته وكير، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَبَّعَنَ شُهُودًا (13)

البنون يشهدون لك على خلقك أنت، وعلى وجود الله الذي خلق هذا الابن، كل شيء في الكون يدل عليه، إذا أردت أن تتعرف عليه أيضاً أماك كتاب الله، هناك الكثير من آيات القرآن الكريم تعرف بالأمر، عندما يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)

هذا تعريف بالأمر، عندما تحدثنا في اللقاء الماضي: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) هذا تعريف بالأمر، وفي الوقت نفسه عندما يحدنك الله تعالى عن أفعاله في القرآن فيقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَعَلَ رِزْكَ بِأَصْحَابِ الْقَيْلِ (1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رُّبُكَ بِعَادِ (6)

[سورة الفجر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلُّ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ اُنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11)

[سورة الأنعام]

هذا كله من أجل أن تعرفه فتعظمها وعندما لا أقول: لن تعصيه.

{ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ>
<وَخَيْرُ الْخَاطَّائِينَ التَّوَابُونَ>}

[أخرجه الترمذى]

لأن النفس تغلب الإنسان، لكن تصبح المعصية أقل بكثير، عدد المعاشي، وحجم المعاشي، ثم يبادر الإنسان إلى التوبة فوراً إن عصى الله لأنه يعظم الأمر عنده. كان بعض الصحابة يقول لبعض التابعين: إنكم لتعلمون أعمالاً - للتابعين - هي في أعينكم أدق من الشعر، أي ترونها هينة، مثل الشعرا بالعين بسيطة، هي في أعينكم أدق من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات المهلكات، يقول شراح الحديث: ليس يعني أن الكبار أصبحت بعده صغار، لا، لأن عصر التابعين هذا من خير القرون، قال: ولكن كانت الأمور المصغرة لعظم مكانة الله في عيون الصحابة تكبر عندهم، فالتابعون لم يرتکبوا كبار حاشاهم، لكن الأمور البسيطة التي كانوا هم من عظم الله في قلوبهم يرونها أمراً كبيراً أصبحت الآن بسيطة، ماذا فعلنا؟ فما بالنا نحن المسلمين اليوم؟ إذاً المقصود كل هذا الكلام منطلق من مطلع الآية **إِنَّ اللَّهَ يَأْغُفُ**.

الأوامر الإلهية والنواهي الإلهية من رحمة الله بهذه الأمة:
أحبابنا الكرام: لما قال موسى لقومه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُذْبِخُوا بَقَرَةً قَالُوا أَشَدُّنَا هُزُواً قَالَ أَغُوْدُ
بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)

[سورة البقرة]

ماذا كان ينبغي أن يفعل قوم موسى - بنو إسرائيل -؟ كان ينبغي أن يأتوا فوراً إلى أي بقرة تصادفهم ويمثلوا أمر الله، لأن الله يأمر، لكنهم لا يعرفون الله الامر فقالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ شَاهَةٌ عَلَيْنَا وَإِنَّ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْبِطُونَ (70)

أعطاهم مواصفات، قالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا <ما لَوْهَا/> قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا تَقْرَءُ صَفْرَاءً فَاقْعُ لَوْهَا سَرْ
 النَّاطِرِينَ (69)

[سورة البقرة]

أعطاهم مواصفات، قالوا: (**ما هي**) مرة ثانية أعطاهم مواصفات أخرى حتى صاقت عليهم الحيل، فوجدوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا <بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْعُ لَوْهَا/> سَرْ
 النَّاطِرِينَ (69)

[سورة البقرة]

لا يوجد غيرها، اشتراوها بثمن عالٍ، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا دُلُولٌ بَيْنِ الْأَرْضِ وَلَا تَسْقِي الْحَرَثُ مُسْلَمٌ لَا شَيْءٌ فِيهَا قَالُوا أَلَا جِنْتٌ بِالْحَقِّ
 فَذَبُحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)

[سورة البقرة]

هو لا يريد أن ينفذ، هذا أمر، بالوقت نفسه يقول إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ
 مَا تُؤْمِنُ سَتَجْدِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)

[سورة الصافات]

ما قال له: إن الله يأمر أن أذبحك، بل هؤلئها عليه، قال: (**إِنِّي أَرَى**) أي المنام يتكرر كل يوم، أرى فعل مضارع يفدي التكوار، فالرؤيا متكررة، أي صار هناك شيء يدعوه للانتباه، (**إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**) رؤيا منامية، ماذا قال إسماعيل؟ (**بِاَبِت اَفْعَلْ مَا تُؤْمِنُ سَتَجْدِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**) هناك الأمر كان بذبح بقرة، هنا الذي لم ين؟ لابنه النبي، فانظروا بين الأمرين، وقارنوها بين الاستجابتين، ما الذي اختلف؟ اختلف أن إسماعيل عليه السلام مربى في بيت نبوة، بالنسبة له إذا قال الله شيئاً فيجب أن يفعل فوراً، قال: (**بِاَبِت اَفْعَلْ مَا تُؤْمِنُ سَتَجْدِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَّ لِلْجَيْنِ (103)

[سورة الصافات]

أي ذبح، انتهى، التنفيذ كان بشكل كامل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَدَّيْنَا يَدْبِغْ عَطِيلِ (107)

[سورة الصافات]

لكنه كان امتحاناً، طبعاً نحن لن يمتحننا الله ويقول لنا: اذبح ابنك، ولا كما عاقببني إسرائيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ أَنَّا كَيْنًا عَلَيْهِمْ أَنِ افْتَلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اُخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا قَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ قَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ يَهُ لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ وَأَسْدَّ تَسْبِيَّاً (66)

[سورة النساء]



الصادق تحيه الناس

نحن كل تكاليفنا ضمن الوسع، لا يوجد أي تكليف خارجاً عن الفهم البشري، أي عندما يقول لنا الله تعالى: اصدق، الصدق لنا، الصادق الناس تحبه، وتحاربه تروج، ويدخل الجنّة يوم القيمة، عندما يقول لك: لا تكذب، هذا النهي لنا، أي الأوامر الإلهية والنواهي الإلهية ليس فيها شيء غير مفهوم اليوم لأمة المسلمين، وهذا من رحمة الله بهذه الأمة، كل الأوامر مفهومة، أعطني أمرأً أمرنا الله عن وجّل به وتقول: والله أنا أحسّه ظلماً؟ لا يوجد ظلم، أمرني بغض بصري، لكن ربنا عز وجّل أمر أيّضاً مليار مسلم أن يغضوا بصرهم عن زوجتك، لم يأمرك فقط أن تغض بصرك عن الزوجات، يوجد مليار أمر من أجل زوجتك كي يحميها المجتمع أيضاً من نظرات العاشقين، فالقضية ليست قضية الأوامر الإلهية، ليست القضية خارج مفهوم البشر اليوم، كله واضح، الآباء ربنا عز وجّل ابتلاهُمْ أجيالاً بأوامر صعبة، أي عندما قال: اذبح ابنك، والله لا أحد من البشر اليوم يطبق هذا الأمر، أو يحتمله.

إذاً فارنوا، كم كان ذبح البقرة سهلاً جداً **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُذْبِحُوا نَعْرَةً)** نحن أيضاً الله تعالى يأمرنا في عيد الأضحى أن نذبح كبشناً، وهذه سنة أبينا إبراهيم، أي جاءت من هذه القصة، لا يوجد إنسان يسأل كيف الكبش وما لونه؟ لكن هم عندما كانوا بعيدين عن الله بعد الأرض عن السماء بدؤوا يتخابلون حتى لا ينفذوا الأمر.

إذاً عندما نقول لا نطيل أكثر من ذلك هذه الجريئية، لكن هي مهمة جداً **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ)** فانتبه لمن يأمر دائمًا.

الفرق بين العدل والإحسان والمساواة:

الآن: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى)** ثلاثة مأمورات، وثلاثة منهيات (**وَتَنْهِيَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ**) ثلاثة مأمورات، وثلاثة منهيات.



الإحسان أعلى من العدل

الأمر الأول (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) بعض أهل العلم وأهل التفسير بالتأثر رأوا أن العدل هو الفريضة، والإحسان هو التافلة، أي شيء تؤديه في الحياة فرض عليك فهو عدل، عندما تؤدي الصلوات الخمس المفروضة هذا عدل، عندما تقوم الليل هذا إحسان، الإحسان أعلى من العدل، العدل هو الواجب، والإحسان الريادة، عموماً العدل هو الإنفاق في كل شيء، وأعدل علاقتك مع الله، مع الله، كيف تعدل مع الله؟ الذي يشرك بالله لم يقم بالعدل، لأن الله وحده لا شريك له، فالذي يشرك بالله فلم يأت بالعدل، وإنما أتى بالظلم، العدل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَدِّيْنَ (213)

[سورة الشعراء]

أول ما في العدل هو العدل مع الله تعالى، وهو التوحيد، التوحيد هو العدل والشرك هو الظلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعْطُهُ بَيْتَيْ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)

[سورة لقمان]

أعظم ظلم هو الشرك، وأعظم عدل هو التوحيد، أما قلت لكم هي أجمع آية لأنها تجمع كل شيء تحتها، أي العدل يبدأ بالعدل مع الله، فالمشاركة ليس عادلاً، ولو عدل مع كل خلق الله، قال لك: أنا دانماً أوزع بالعدل، إذا لم يكن عادلاً مع ربه فهذا العدل كله يأخذ أجراه في الدنيا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَزْنَ الْآخِرَةِ تَرَدْ لَهُ فِي حَزْنِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا تُؤْتِهِ مِنْهَا
الْآخِرَةُ مِنْ تَصْبِيْهِ (20)

[سورة الشورى]

لأن العمل قليله وكثيره مع التوحيد ينفع، والعمل قليله أو كثيره مع الشرك لا ينفع، فليعمل المشارك ما شاء، ما دامت الوجهة غير صحيحة فهو على الطريق الخطأ، مهما فعل فأجره في الدنيا، لكن ما دام لم يتوجه بالعمل إلى الله فهناك مشكلة.

ثم العدل مع النفس، الإنسان يعدل مع نفسه، كيف يعدل مع نفسه؟ إذا أتى شهوة محرمة، فحرم الصلة بالله، ثم داوم على هذه الشهوة المحرمة فارتکب الكبائر، ثم أتى الله يوم القيمة مفلساً، فهل كان عادلاً مع نفسه؟ لا والله كان طالماً، لذلك الله تعالى في القرآن الكريم يذكر أنهم يظلمون أنفسهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
**سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا **
وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَطْلُمُونَ (177)

[سورة الأعراف]

يظلم نفسه لا يعدل معها، لأن الله خلقك من أجل الجنة، فإذا سرت في طريق الجنة فأنت عادل، ولما يسير المنحرف في طريق النار فقد ظلم نفسه.
فالعدل أولاً مع الله، ثلا يشرك به شيئاً، ثم مع النفس بألا تتحملها على المعصية فتحرمها من السكينة في الدنيا، والأجر العظيم يوم القيمة.



العدل يكون مع الزوجة

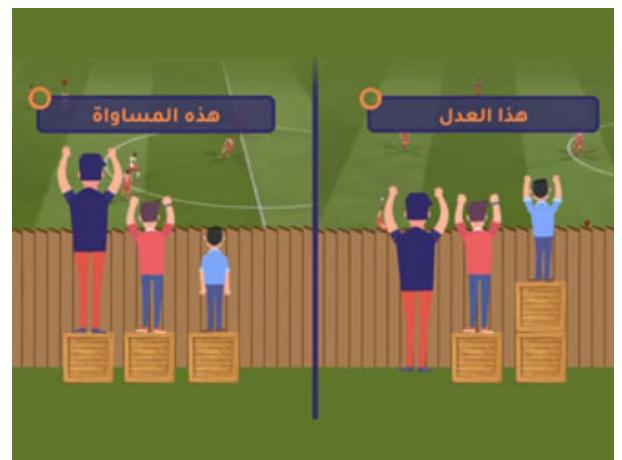
ثم العدل مع الناس، هذه أجمع آية في كتاب الله، عدل مع الله بالتوجه، وعدل مع النفس بحملها على الطاعات، ومنعها من المعاصي، ثم عدل مع الناس، وهذا يشمل كل علاقة مع الآخرين، فالعدل يكون مع الزوجة، هذه أصبحت في بيتك، وأصبحت تحت يدك، فإن كنت عادلاً معها لا تتحملها ما لا تطيق، لا تتكلم على أهلها بسوء، فإن تكلمت بكلمة تمس أهلك تقيم الدنيا عليها ولا تقدرها، أهلي محصنون، أما أهلهما فأنجذب كيف أشاء عليهم مثلاً، هذا ليس عدلاً، هذا منتهي الظلم، ليس من العدل أن تتحملها فوق طاقتها، وليس من العدل أن تحملك هي فوق طاقتك، فتلحق إلى الحرام نسأل الله السلامه.

العدل بين الأولاد، لما جاء هذا الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: أشهد يا رسول الله أني نحلت ابني هذا حديقة، قال: ألك ولد غيره؟ قال: نعم، قال: أكلهم أعطيتهم مثل ما أعطيت؟ قال: لا، قال:

{ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهمما قال: **فَلَا تُشْهِدْنِي إِذْنُ، فَإِنِّي لَا أُشْهِدُ عَلَى جَوْرٍ**

}

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ومالك]



العدل شيء والمساواة شيء آخر

النعمان بن بشير، له زوجة وبناتها ولد، قال له: أطعمه فأعطيه، قال: أشهد رسول الله؟ حتى تتحقق، قال: **(لا أشهد على جور)** هذا ظلم، هذا ابن فلانه فأعطيته وأبنك من الثانية لم يعطه، لا يجوز، العدل في العطية مطلوب، العدل مطلوب، ولا أقول المساواة شيء آخر، المساواة شيء آخر، والمتساوية شيء آخر، والمتساوية غير مطلوبة، لأنه أحباباً عندك ابن بالجامعة، ابن في الروضة، العدل أن تعطي الذي في الجامعة ديناراً والذي بالروضة ديناراً؟ أو إذا أعطيت الذي بالجامعة منه تعطي الذي بالروضة منه؟ لا، هذه مساواة، المساواة ليست عدلاً، المساواة قد تكون ظلماً العدل أن تعطي كل ذي حق حقه، لكن عندما يكون هناك عطاء مجرد عن كل شيء، أنا عندي ملك، وأريد أن أعطي أولادي وأسجل بأسمائهم كل شيء، هنا العدل يلتقي مع المساواة تماماً، أعط هذا وأعطي ذاك، هذا شيء هذا مثلاً، هذا أسجل له شيئاً، هنا يلتقي العدل مع المساواة، أما المصادر اليومية فالعدل لا يلتقي مع المساواة تماماً، المساواة يتصبج ظلماً بالمصادر اليومية لأن كل ابن يحتاج شيئاً، أحياناً ابن مريض - نسأل الله السلامه - يحتاج إلى مصاريف علاج فيأخذ أضعاف ما يأخذ أخواته من أجل علاجه، فالعدل أن يعالج هذا، وليس أن يترك بدون علاج.

إذاً العدل مفهوم أوسع من المساواة بكثير، **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ)** العدل مع الله، العدل مع النفس، العدل مع الآخرين، الزوجة، الأولاد، العدل في الميراث، يأخذ الرجل وتأخذ المرأة وفق منهج الله عز وجل، العدل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذِّكَرِ مُثْلُ حَطَّ الْأَشْيَاءِ

[سورة النساء]

المساواة؛ الذكر نفس الأنثى، لكن العدل هو منهج الله الذي جاء به الله، أن تعطي وفق حقائق الميراث التي فرضها الله، هذا هو العدل.
ثم العدل مع كل الناس، شريكك في العمل تعدل معه فلا تظلمه، النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله: **أَنَا ثالث الشريكين ما لم يحن أحدهما صاحبه** فإذا خان خرجت من بينهما }

[أخرجه الحاكم]

أيضاً العدل مع الأولاد، العدل مع الرعية، الحاكم مع رعيته، هناك عدل حتى مع العجماءات من الحيوانات، إذا أطعمتهم مثلاً أن تطعم كل من في الحقل، أي العدل مفهومه واسع جداً، بحيث يبدأ من أخص الخصوصيات، وينتهي بأعلى المقامات، كله عدل، فالعدل ليس له حد، نتكلمن عن العدل مع الزوجة، مع الأولاد، العدل مع الأب والأم ببرهما واعطائهما حقوقهما، النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ** **الظُّلْمَ طَلْمَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا السُّنْحَ، إِنَّ السُّنْحَ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دَمَاهُمْ وَاسْتَحْلَلُوا مَحَارَمَهُمْ**} [أخرجه مسلم]

هذا العدل **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ)** الإحسان مرتبة أعلى من العدل، أنا لي حق عندك، من العدل أن أطالبك به، ومن العدل أن تعطيني إيه، الإحسان وحدتك معسراً لا تملك هذا الحق فعفوت عنك، فالإحسان زيادة على العدل، ما كل مشكلتنا في الحياة تحل بالعدل، أحياناً الإنسان يقول لك: أنا أريد أن آخذ حقي بالقانون، بالعدل، أحياناً كثيرة تحتاج إلى الإحسان، الإحسان أن تترك شيئاً من حقك الذي هو عدل لك من أجل أن ترضى ربك، ومن أجل أن تقرب هذا الإنسان إلى الله تعالى فتحسن إليه.

ثلاثة بنود بالعلاقة مع الناس:

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَاءِ **وَالْكَاطِمِينَ الْعَيْنَ** **وَالْعَافِينَ عَنِ التَّأْسِ** وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

[سورة آل عمران]



كظم الغيط يوقف المشاكل

هذه ثلاثة بنود بالعلاقة مع الناس، العلاقة الأولى كظم الغيط، إنسان استفزك، يقول الناس: مستفز، مزعج، كظمت الغيط، في قلبك غيط، الغيط ما ذهب، لكنك كظمته، من كظم القرية، القرية قرية الماء، إذا أغلقتها تماماً هذا اسمه كظم، انتقل المعنى من المعنى الحسي إلى المعنوي، كظم الغيط ممتنع غيطاً كظمت لم تخرج الغيط إلى الخارج، هذه مرتبة جيدة، الناس اليوم أين معظم مشاكلهم؟ لا يكتظون الغيط، أنت راقب الناس على إشارة المرور، أطلق بوق السيارة أول مرة، ثاني مرة، اززعج، فتح نافذة السيارة وخرج منها يقول أفالطاً نابية، وبدأ يصرخ، ما كظم الغيط، كلنا يفاظط، إذا شخص يتصرف بسيارته بطريقة غير صحيحة وأزعجاً، الكل ممك أن يفاظط منه، لكن كظم الغيط يوقف المشاكل.

المرتبة الثانية، قال: **(وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)** لا أريد أن أبي دائماً مكطوم الغيط، من الداخل أنا منزعج، لا، حتى تنتهي من هذه القضية عفوت عنه، سامحه الله سيدى، هذا العفو مسح الآثار، العفو هو مسح الآثار عفوت؛ مسحت، عفت الديار، الشاعر كان يقول هذا لأنها لم يبق فيها أحد، عفت الديار، فالعفو، مسح الآخر، انتهى من نفسك نهائياً، هل يوجد مرتبة أعلى؟ نعم، الإحسان **(وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** أي كظمت غيطك عنه، ثم عفوت عنه، ثم وجدت أن تحسن له.

سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان له قريب اسمه: مسطوح بن أثاثة، وهذا الرجل كان سيدنا أبو بكر يعطيه نفقة دائمة، فلما صارت حادثة الإفك وتكلم الناس في عرض الطاهرة المطهرة المبرأة عائشة السيدة رضي الله عنها، وهي بنت أبي بكر رضي الله عنها، كان مسطوح من بين الناس الذين خاصوا في هذا الحديث، ليس من الذين أشاغوه، لكن خاصوا فيه، لأن الناس وقتها انقسموا، قسم هو الذي أشاع، هذا والعياذ بالله عذبه أليم، وقسم خاص، وهذا ينبغي أن يتوب إلى الله، وقسم أمسك لسانه، وهذا جيد، وقسم رابع دافع، صار يقول: لا، هذا غير صحيح، السيدة عائشة هي أم المؤمنين لا تفعل ذلك، عندما يقع الحدث شخص أشاع الفاحشة، هذا والعياذ بالله إيمه أعظم، الثاني خاص في الحديث، أنا لا دخل لي، أنا أتكلم الذي سمعته، أيضاً إنك عظيم جداً، لأنك تنقل ما سمعت، لا تقل: ناقل الكفر ليس بكافر، لا، تتكلم على عرض امرأة طاهرة، الثالث: أنا لم أتكلم شيئاً جيداً، ولا كلمة، هذا ممتاز، ولم يحمل إثماً أبداً، الرابع أفضل، الرابع قال: لا.

أم أيوب الأنباري، قالت له: يا أي أيوب ! أسمعت ما يقول الناس في عائشة؟ قال: نعم، سمعت، قالت له: وما تقول؟ أي ما رأيك؟ هم يتكلمون كثيراً بالمدينة، قال لها: يا أم أيوب أكنت أنت فاعلة ذلك؟ قالت له: لا والله، قال لها: وعائشة والله أفضل منك، أنت لا تفعلي ذلك، لسانه دافع، دافع عن أخيه، هذه إيجابية. فأحدهم مسطوح، مسطوح من الذين خاصوا، لم يشع لكه خاص في الحديث، فلما ظهرت براءة السيدة عائشة رضي الله عنها أقسم أبو بكر ربماً بالله لا يعود إليه بالإحسان، أي النفس نفرت، شيء مزعج تكلم في عرضه، الآن سيدنا أبو بكر تحديدًا لأنه هو أبو بكر رضي الله عنه، لو كان غيره يقول: هذا من حقه، لكن أبو بكر مرتبة عالية جداً، الصديق، فجاءه العتاب من الله تعالى، قال:

يَسِّمِ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَحْشَى مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْفُرْتَنِ وَالْمُقْتَسِكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَيَعْقِفُوا وَلَيَضْفَعُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (22)

[سورة النور]

فلما سمع الآية يكى سيدنا أبو بكر، قال: بل والله أحب أن يغفر الله لي، وأعاد النفقه إلى مسطوح، هذه مرتبة عالية، يملكها الأنبياء والصالحون والمقربون والمؤمنون، عموم المؤمنين، كثيراً ححسن لمن أساء إلينا، لكن هذه تحتاج إلى جهد بالنفس، وإلى بناء إيماني، وأنا أضيف شيئاً: أحياناً الإحسان للمسيء، إذا كان يبعده عن الحق أكثر وأكثر لا ينبغي أن تحسن إليه، لكن لو رأيته منكسرًا نادماً، ووجدت أن إحسانك إليه يقرئه من الله فيبنيغي أن تحسن إليه، حتى لا يكون الأمر عاماً، أنه دائماً ينبغي أن أحسن لمن أساء، لا أحياناً نعلم أن هذا المسيء إحسانك إليه لا يزيده إلا بعداً عن الحق، يتكبر أكثر وأكثر، وهذا ينبغي أن يؤخذ على يديه، لكن أحياناً نعلم أن إحسانك يقرئه من الله، نادم، كذا، فالإحسان هنا.

الإحسان إلى ذي القربى:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْفُرْتَنِ)، (وَإِيتَاءِ ذِي الْفُرْتَنِ) خصهم هنا بالذكر بالإحسان لكي يوسع دائرة التكافل الاجتماعي، إيتاء: أي إعطاء (ذى الفرتين) من المال، من الجاه، أي شيء، لأن هؤلاء هم أولى الناس بتفقتك، وأولى الناس بعطائك، كان الفقهاء يقولون: لا تقبل زكاة مال وفي الأقارب محاوى، أي إذا إنسان خاله يحتاج ولا يجد، وذهب ودفع زكاة ماله لغيره هذا في مشكلة.



الأقرب إلى الإيمان أقرب إلى العطاء

(إِيتَاءُ ذِي الْفُرْتَى) فكل إنسان يتفقد أقرباءه، الأسرة، العائلة الكبيرة (ذِي الْفُرْتَى) قال أهل العلم: القرابة تكون بالنسبة، والقرابة تكون بالجوار، والقرابة تكون بالإيمان، أي دوائر القرابة ثلاث دوائر، النسب، هذا أول شيء كما قلنا، الأسرة الصغيرة، الأهل، الأولاد، الآباء والأجداد وإن علوا، والآباء والأنبياء وإن نزلوا، والأخوة والأخوات، الأعمام والأخوال، والعمات والخالات، هذه أسرته، عائلته أوسع، يذهب لأولاد عمومه، للأحوال أية، يتوضع أكثر بالعائلة، إذا وسع المال عنده زيادة، يتوضع أكثر، هذه القرابة، الآن يوجد قرابة ليس لها علاقة بالنسبة لكن لها علاقة بالجوار، جاري بالبناء، جاري بالعمل عنده مشكلة، أفقد الناس، هذه قرابة الجوار، والقرابة الثالثة؛ قرابة الإيمان، أخي بالمسجد هو ليس جاري ولا قريب بالنسب، لكن هذا أخي بقرابة الإيمان، لأنه أقرب إلى الله من غيره، وهذا أولي يمالي من إنسان بعيد عن الله، أي مسلم لكنه بعيد عن الله، يعطي من الزكاة هذا الآخر العاصي، لكن أكيد الأقرب إلى الإيمان أقرب إلى العطاء ينبغي أن يكون.

(إِيتَاءُ ذِي الْفُرْتَى) وتشمل القربى قرب النسب، وقربى الجوار، وقربى الإيمان (إِيتَاءُ ذِي الْفُرْتَى).

النهي عن الفحشاء والمنكر والبغى

الآن: (وَتَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) أيضاً ثلاثة: الفحشاء؛ تطلق في القرآن غالباً الفاحشة على الزنا، وعلى كل ذنب عظيم، الذنوب العظيمة اسمها فواحش.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِيمٰنِ وَالْقَوْاجِشَ وَإِذَا مَا عَصَنَا هُمْ يَعْقِرُونَ (37)

[سورة الشورى]



المنكر سمي منكراً لأن النقوس تكره

فكل اثم عظيم يسمى فاحشة، قالوا: الفحشاء تكون في أمور كبيرة في القول، والمنكر يكون في الفعل (وَتَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) الفحشاء في الأقوال، والمنكر في الأفعال، أو أن تقول: إن الفحشاء هي الزنا وما قرب إليها، والمنكر كل فعل تكره القلوب السليمة، المنكر لماذا سمى منكراً؟ لأن النقوس تكره، أنت الآن إذا سمعت بجريمة قبل تذكرها فوراً بالفطرة، إذا سمعت عن شريك خان شريكه، يأكل المال من ورائه ولا يسلمه بالحسابات إذا كنت سليمان وفق الفطرة السليمة تكر ذلك، أنا لا أقبله، المعروف عكس المنكر تعرفه الفطرة السليمة ابتداءً، لذلك النفة تكون بالمعروف (وَتَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) أي الفحش سواء كان بالأقوال، والمنكر إذا كان في الأفعال، والزنا وما فيه، والمنكر وما فيه.

(وَالْبَغْيِ) هو الظلم، والعدوان (وَالْبَغْيِ) هو الظلم أن تظلم الناس، يأمر بالعدل وينهى عن البغي، طبعاً البغي ضمن الفحشاء والمنكر، لكن خصه بالذكر، كما خص إثاء القربى، وهو ضمن الإحسان، أي اختيار أهتم شيء بالإحسان هو أن تحسن لذى القربى واختيار أسوأ شيء بالمنكر وهو الظلم، الظلم هو أكثر شيء تكره النقوس السليمة، أكثر شيء بالمنكر، أي لو إنسان نظر نظرات حرام، هذا ظلم، لكن ما اعتدى على أحد، لو أنه مثلاً أكل رشوة من آخر بالتزاضى، الأول راض بذلك قال له: المهم أن تمشي أمري وكم، ربما يقول: لا يوجد فيها اعذاء، لكنه منكر، أما البغي فأنا تظلم إنساناً، أنت مفترض هو غير مفترض، أنت تستطيع أن تفعل هو لا يستطيع فظالمته، فالبغي من أشد أنواع المنكر فلذلك خصه بالذكر.

الموعظة ذكرى يتذكر بها الإنسان:

(وَتَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَيْنِ يَعْطُكُمْ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ) الوعظ؛ هو تكرار الإرشاد، هذا المجلس يسمى مجلس وعظ، إذاً تتذكرة فيه الخير، تتذكرة فيه ترك الشّرّ، فهو مجلس وعظ، مع التذكرة بالعقوبة، الوعظ فيه تذكرة بالعقوبة، كان يقول: من فعل ذلك فله الجنة، ومن عصى واستمر على عصيانه فله النار، فهذا من الوعظ (يَعْطُكُمْ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ) أي رجاءً أن يكون في هذه الموعظة ذكرى يتذكرة بها الإنسان، فإذا عرضت له معصية، أو عرضت له شيء لا يرضي الله فإنه يتذكرة ما وعده الله تعالى به، فينتهي عنه (يَعْطُكُمْ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ) فيها إدغام، هي أصلًا تذكرة، ثم أعممت النّاء بالذّال، وشددت صارت (تَذَكَّرُونَ).

والحمد لله رب العالمين